Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقال ابن أبي الأصبع في أسرار الفواتح: القسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع لأن ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل إذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل[1]. وقسمه تعالى بالنبي ﷺ في قوله سبحانه: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الحجر: ٧٢)، ليعرف الناس عظمة الرسول عند الله ومكانته لديه.

والقسم بالشيء لا يخرج عن وجهين إما لفضيلة أو لمنفعة[2].

قال كقوله تعالى: ﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣﴾ (التين: ٢، ٣).

والمنفعة نحو: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ (التين: ١).

وقال بعضهم: أقسم الله تعالى بثلاثة أشياء بذاته كالآيات السابقة، وبفعله نحو: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧﴾ (الشمس: ٥ ـ ٧) وبمفعوله نحو: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ (النجم: ١)، ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ۝٢﴾ (الطور: ١، ٢)[3].

رأي جديد في القسم بالمخلوقات:

رأينا أن العلماء والمفسرين[4] ذهبوا إلى أن الله أقسم بمخلوقاته لبيان نواحي العظمة فيها وجلال قدرها وعظيم نفعها ولكن العالم الهندي عبد الرحمن فراهي يذهب مذهباً جديداً خلاصته أن القسم إذا كان بمخلوقات الله فليس لتعظيمها وإنما للاستشهاد بها وسياقها مساق الدليل على صحة الكلام وصدقه، فهي بمثابة لفت النظر إلى التأمل في ملكوت السموات والأرض وإرشاد المخاطبين إلى بديع صنعة الله في الكون. ونحن نلخص رأي الأستاذ عبد الرحمن فراهي بما يلي:

---

(١) الإتقان للسيوطي ٢/ ١٣٤.

(٢) البرهان ٣/ ٤٢ نقلاً عن الأستاذ أبو القاسم القشيري في «كنز اليواقيت» والإتقان ٢/ ١٣٤.

(٣) الإتقان ٢/ ١٣٤.

(٤) انظر الفخر الرازي في تفسيره الكبير مفاتيح الغيب والسيوطي في الإتقان، وابن القيم الجوزية في كتابه (التبيان في أقسام القرآن) وغيرهم من المفسرين عند تفسير ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ و ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ .. وغيرها.